عبـــور

لم يزعجـه أنّـه اسـتيقظ مـن النـوم، فلـم يـدرِ مـن أيـن أتـى؟ وأيـن هـو الآن؟

لم يشـغل بالـه الألم، الـذي يمـزق أسـفل رأسـه، وهـذا السـائل اللـزج الدافـئ، الـذي يبلّـل الوسـادة، وتلـك الرائحـة المعدنيـة زاكمـة أنفـه.

مـا حـيّره فعـلًا؛ ذلـك القابـع في ركـن الغرفـة المظلمـة، والـذي لم يكـن موجـودًا مـن قبـل.

هـل هـو موجـود فعـلا؟ أم أنـه خيـال صـوره لـه عقلـه؟ تمالـك نفسـه وسـيطرت عليـه رباطـة جأشـه وحـاول النهـوض، لاستكشـاف مـا يحـدث، عندمـا هـم بالاتجـاه ناحيـة الظـل القابـع في ركـن الغرفـة وجـده.. بـاب.

البـاب فُتـح...ولج في فرجتـه، وكأنّـه انتقـل إلى عـالم آخـر...إلى بعـد آخـر.

أنفـاس زرقـاء وجـدران صدئـة وأرديـة متربـة، عيـون غائـرة زائغـة تبحـث عـن مخـرج، عـن شـعاع ضـوء هـارب يقاسمـه الوحـدة والخـواء وغمـوض المصـير، يتهـادى الدخـان المنبعـث مـن رمـاد خلّفتـه نـيران الموقـد، وهـي تلفـظ أنفاسـها الأخـيرة،

يتشكل الدخان في دوائر وأشكال عبثية خالقًا وهمًا ممتنع التأويل، صانعًا جدارًا زائفًا يحجب ثغرة هروب أخيرة، تلهث الأنفاس حدّ الاختناق، تتصدّع القلوب منذرة بلحظة الانهيار، لحظات.. شهقة بيضاء.. دمعة حلوة المذاق.. ثياب بيض.. وباب آخر أكثر اتساعًا يفتح ذراعيه لعبور يذوب فيه سلويت ضبابيّ؛ ليفنى وكأنّه لم يكن يومًا.

في اليوم التالي وجدوا على سريره رسالة مكتوبة على ورقة بردي:

«الموت يدق... لا تفكر مرتين... اقفز في اليم ولا تنتظر.. ذراع الفرعون سكين... ودموع الفرعون سموم... والأم المغلوبة تلعن في صمت... لن ينقذك الصمت... اقفز في اليم لعلك يوما... تعثر على حل أحاجيك في بطن سمكة انفلتت منقبضة من شباك الفرعون.

من العالم الأخر.. إليك

حذار أن تقرأني... حتى لا أرديك قتيلًا!

اذهب إلى حيث الأوراق الصفراء وأحرقها... إياك أن تتردد.

اختفت الوجوه من الصور كلّها، ولم يتبق غير الأشباح تؤنس الكادرات الخالية، العيون ترقب.. وأذنا الأرنب ما شبعت من الاستماع إلى أغاني الغرباء.

الغربـاء... ليسـوا طيبـين ولكـنّ الأرنـب كان يعلـم، ومـع ذلـك لم يختبـئ.. لأنّـه علـم أنّهـا النهايـة... وعنـد النهايـة تتسـاوى كل الأشـياء..

صمت... صوت طلقات مدوية... صمت.